بهرا الضياء

Bahra No. 415 Mon. 31 Dec 2007

العدد ٤١٥ –الأثنين ٣١ كانون الأول ٢٠٠٧م– ٦٧٥٧ آ

خواطر تاريخية

عدنان محمد

خصائص العمارة البغدادية

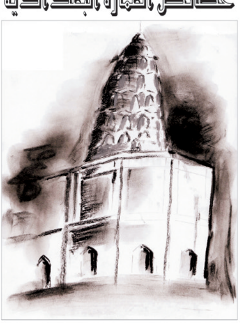

في اواخر العصر العباسي بدأت كثير من محلات بغداد بالإندراس ولم يسلم منها الا المحلات والأماكن التي كانت داخل السور. ويذكر المؤرخون انه برغم ذلك فإن سبع عشرة محلة بقيت محافظة على منشآتها ومن ضمن ذلك تلك المنشآت التي تعنى بالمرضى والأسواق والمرافق الخدمية، ان ما يميز العمارة البغدادية في تلك الحقب من الزمن هو ما وصلت اليه من اتقان في رصف الآجر وابداع الفنان في زخرفة الواجهات وكيفية انشاء الايوانات والتنوع في بناء المآذن والقباب وما قبّة زمرد خاتون إلا دليل على الوصف التفصيلي لذلك البرج المخروطي الشكل والذي هو على شكل مثمن فلم تكن تلك المباني الانشائية بشكلها ومضمونها هندسة وابداعا مستوردة او تقليدا لمبان اخرى لكن البناء البغدادي وقف عند تلك الحالة من الابداع فأسس لفن معماري فريد بحيث انك ترى في كثير من المنشآت البغدادية طابع الأصالة والفردية.. مثال آخر على ذلك المنارة المعروفة في تربة الشيخ معروف الكرخي وكذلك يذكر المؤرخون المشهد المعروف بالمنطقة والذي نال وصفا دقيقا من قبل المؤرخين بحيث ان جلهم أثنى على رصف الحجارة وكيف ان المعمار أبدع في تحديد زوايا البناء واستخدام النسبة الذهبية في التناظر والهارموني وما الى ذلك من نسبة وتناسب، وما تجب الاشارة اليه بالنسبة للمعمار البغدادي هو ما استطاع هذا الأخير من مواءمة بين استخدام المواد والبيئة العمرانية من جهة وبين تلك المواد والبيئة العمرانية والبيئة بكل ظروفها من جهة اخرى مع المحافظة على الطابع العام والطابع الخاص في اقامة تلك المنشآت فقد استخدم الآجر من جهة والخشب من جهة اخرى بحيث ان حمل أثقال المواد كان مدروسا بصورة دقيقة تؤدي الغرض في كل تلك المنشآت البنائية، فلو اننا أجرينا مقارنة بسيطة بالطرح لا بالمضمون بين تلك المنشآت القائمة في بلدان عربية مجاورة وبين تلك التي أقامها البغداديون لوجدنا ان تلك المنشآت القائمة في بلاد الشام يغلب عليها الطابع الاغريقي والروماني بينما لم تكن معالم بغداد تتسم بتلك الصفة لذلك فإن العمارة البغدادية انفردت في صفاتها واخذت طابعها الاصالي فلم تقترن وعلى حال ما كتب الباحثون والمهتمون بهذا الشأن ابدا بتلك التبعية او حالة التقليد، بل بالعكس من ذلك فإن الخصائص لسور بغداد أثر في رؤية بعض المصممين الاوربيين اذ أشار الى ذلك "رايس" فاستنبط المصمم الاوربي بعض تلك الخصائص من تحقيق المحاور المنكسرة في كل مداخل تلك المنشآت.. وهذه ميزة او خصيصة انفرد بها المصمم البغدادي في تحقيق الغرض عند بناء سور بغداد.

أعياد الإيزيدية وعلاقتها بالموسم الزراعي ٢ ــ ٢

خدر خلات بحزاني*

اعيد صوم ئيزيد

يقع هذا العيد في أول يوم جمعة من كانون الأول الشرقي (**) بعد صيام لثلاثة أيام، حيث يكون الصيام في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، واليوم الرابع "الجمعة" يكون هو يوم العيد، إن اختيار هذه الأيام الثلاثة ذات النهارات القصيرة لتكون أياماً للصيام لم يكن عبثاً وليس من باب الصدفة كما قد يتصور البعض.

نعود ونقول إن اللافت للنظر إن هذه الأيام الثلاثة المخصصة للصيام هي اقصر أيام السنة من حساب النهار لحساب الليل، وإذا كان الانقلاب الشتوي يقع في ٢٣كانون الأول بحيث تكون ليلة الانقلاب أطول ليلة في العام وتبلغ "١٤" ساعة وبضع دقائق، فيما يكون النهار "١٠" ساعات ناقصة بضع دقائق، فإن ما يعقب الانقلاب الشتوي مباشرة هو بداية العد العكسي بالنسبة لاستطالة الليل ولصالح النهار.

وباستمرار الأيام وتعاقبها، تقلّ ساعات ودقائق الليل تدريجيا فيما يستعيد النهار طوله على المسار الآخر، ويستمر الوضع على هذا المنوال إلى حين بلوغ الاعتدال "أو الانقلاب الربيعي" في ٢٣ آذار حيث تتعادل ساعات النهار مع ساعات الليل، وبعد ذلك، يستمر النهار في الاستطالة ويبلغ ذروة استطالته في ليلة ٢٣حزيران حيث الانقلاب الصيفي، في حين يكون الليل في اقصر حالاته، وبعد الانقلاب الصيفي، يعاود الليل استرداد ما خسره تدريجيا ويتساوى طوله مع طول النهار عند بلوغهما الاعتدال أو الانقلاب الخريفي في ٢٣ أيلول، ويستمر ازدياد ساعات الليل حتى تبلغ ذروتها في ليلة ٢٣ كانون الأول.

هذه هي باختصار حكاية الانقلابات الفصلية الأربعة التي حدثت وتحدث وستحدث إلى ما يشاء الله، وما لا شك فيه إن الفلكيين القدماء لم يغب عن ناظرهم ملاحظة هذه التغيرات التي تحدث طوال العام.

ونظراً لاعتماد الشعوب القديمة على الزراعة اعتماداً شبه مطلق في تامين غذائهم وغذاء مواشيهم، فقد وضع الكهنة ورجال المعابد – من الآريين عل وجه التحديد ــ عدة تفسيرات لهذه الظاهرة، ولعل ابرز هذه التفسيرات والذي نال القبول عند الشعوب القديمة يقول، إن النهارات المشمسة هي التي تجلب الدفء والخيرات، بينما الليالي الحالكة الظلمة هي التي تجلب البرد والأمراض، وبالتالي فقد تصوروا إن الشمس ــ وتحت أي عنوان كانت ــ هي مصدر الخير والنماء ومصدر رزق الإنسان وماشيته، وأن نور الشمس يجسِد تلك الخيرات، وهكذا تم اعتبار "الشمس" إلهاً للخير والنور والألفة، أما الظلام فقد كرست ونسبت له الأعمال المضادة لأعمال الشمس، وعليه فقد تم اعتباره إلهاً للشرّ والقحط والجفاف والبرد والأمراض...الخ.

وعلى هذا الأساس تم بناء التصوّر الكامل لصراع خفي ما بين اله النور واله الظلام، وعندما كانت تقصر ساعات النهار وتطول ساعات الليل، فقد كان الناس القدماء يعتقدون إن اله الظلام يوشك على القضاء على اله النور، وعندما كان يبلغ طول الليل اشد ذروته، فقد كان القلق ينتاب هؤلاء الناس على مصير اله النور، ونظراً لمعرفتهم إن اله النور لابد أن يستعيد عافيته ويطرد بنوره فلول الظلام، فقد اتخذوا من الفترة الحرجة فترة صيام ولمدة ثلاثة أيام، تعبيراً عن تضامنهم الروحي والمعنوي مع اله النور ــ ولا يغيب عن بالنا المغزى السحري الذي يمتلكه الرقم ٣ حسب المفاهيم القديمة ــ ويكون اليوم الرابع هو بداية بوادر انتصار اله النور والخير، وان اتخاذ اليوم الرابع عيداً هو تعبير عن الفرح الغامر بانتصار الخير على الشر، والنور على الظلام، وبانتصار اله النور فان ذلك يعني إن الشمس ستستمر في إرسال أشعتها الدافئة والكافية لنمو النباتات والمزروعات وإنضاجها فيما بعد وتوفير الغذاء للإنسان وماشيته على حد سواء (١).

إن انحدار التصور أعلاه من الآريين القدماء إلى الإيزيديين – الآريين – ليس بالأمر الغريب، ولكن الغريب أن يترسخ هذا الطقس في العقيدة الإيزيدية توقيتا وبما لا يتلاءم مع الفكر الإيزيدي الحالي والذي يؤكد على إن الخير والشرّ مصدرهما واحد، ويسيران ضمن مشيئة الله سبحانه وتعالى.

عيد بيلندة

يقع هذا العيد في "٢٦" كانون الأول الشرقي، وقد بات من المعلوم الآن وفي ضوء الدراسات الأخيرة وبحسب موقع هذا العيد من التقويم السنوي بأن له من الجذور العميقة والامتدادات الفلسفية والفلكية، إن دلت على شيء فإنها تدل على معرفة متينة بعلم الفلك، بالإضافة إلى إدراك واسع بالتقلبات الطقسية طوال العام، ويمكننا القول إن لهذا العيد "صلة قرابة" فكرية وتوقيتية مع عيد ئيزيد، حيث إن الأخير يسبقه بنحو خمسة وعشرين يوماً.

بداية من الضروري القول إن الاحتفال يتم مع نثر "زرع" مختلف أنواع البذور في الحقول واستئمان الأرض على تلك البذور من صقيع الشتاء القارص، وفي ليلة العيد يتم إشعال النيران بنوع معين من الأعشاب الجافة في فناء الدار، ويتم القفز فوق النار لثلاث مرات من قبل كافة أفراد الأسرة ومن يحتفل معهم من الجيران والأقرباء، كما إن الأطفال الصغار غير القادرين على القفز، يقوم ذويهم بحملهم و"إمرارهم" فوق النار لثلاث مرات متتالية أيضا، فيما تكون ربة الدار تنثر الحلوى والزبيب والقسب فوق القافزين، فيلتقطها الأطفال في فرح وصخب.

وما يذكر بأنه والى الأمس القريب كان يتم إشعال النيران على الطرق الزراعية وعلى سطوح المنازل أو قرب زرائب الماشية، وكان يتم "إمرار" الثيران من فوق النيران، ويسمى هذا الطقس بـ "گورگه گاي" وهي لفظة مركبة من "گورگ" وتعني شعلة أو لهيب النار + "گا" وتعني الثور، ومجمل معنى الكلمة هو "شعلة لهب الثور (٢).

ومن الواضح هنا إن دور الثور في هذه العملية يشير إلى رمزية هذا الحيوان وما يمثله من قوة في الإخصاب، وان الاستعاضة عنه فيما بعد بالأطفال الذين يجسدون الخصوبة أو ما ينتج عن الخصوبة له المعنى نفسه وان اختلفت الوسيلة.

ومن اجل الوقوف على المعاني الفلسفية لهذا العيد – الطقس – نقول بأنه كان على الإنسان البدائي أن يؤمن على استمرارية خصوبة الأرض وحفظ البذور سليمة تحت التراب، وتامين الأمطار اللازمة لنموها، فكان يلجأ للسحر التمثيلي أو التشاكلي من باب "الشبيه ينتج الشبه" وكانت تلك الأعمال السحرية تمثل عمليات الإخصاب بطرق مختلفة منها الإيحاء للتربة كي تسرع في إنبات البذور عن طريق "القيام بعملية جنسية داخل المزرعة" أو تقديم قربان دموي ورش دم الضحية في الحقول، كما كانوا يقومون بالسحر التمثيلي للاستسقاء بطريقة سحرية نسميها "بوكا باراني" وأيضا هناك السحر الإيحائي الذي يتم من خلاله التظاهر بانجاز عمل ما بينما القصد منه الحصول على عمل شبيه له، وأحد هذه الأنواع هو إشعال النيران في ليلة بيلندة، وهذا العمل السحري القصد منه هو الإيحاء للشمس كي تبعث حرارتها لتحمي البذور من التلف بسبب الصقيع وفي نفس الوقت هو طلب للدفء لهم ولحيواناتهم (٣).

وإذا كان عيد بيلندة الإيزيدي يمثل عيد ميلاد "ئيزيد" حسب المعتقد الإيزيدي، فانه من الضروري جداً أن نعلم إن "أصحاب المعتقدات القديمة اقتبسوا أو اتخذوا أياماً قريبة منه أعياداً لميلاد آلهتهم، حيث اتخذ أهل اليونان القديمة يوم "٢٥" كانون الأول عيد ميلاد الإله "ديونيس" كما اعتبروا يوم "٢٤" كانون الأول يوم ولادة الإله "أبولو" اله الشمس، أما المصريون فقد اتخذوا يوم "٢٨" كانون الأول ميلاداً للإله "حوريس" ويوم "٢٥" كانون الأول ميلاداً للإله "اوزيريس"، وعند الآريين القدماء كان يوم "٢١" كانون الأول عيد ميلاد الإله "مثرا" إله الشمس" (٤).

وأخيراً، لا يفوتنا أن نقول إن عيد ميلاد السيد المسيح "ع" حسب الكنيسة الكاثوليكية يصادف في "٢٥" كانون الأول، بينما يصادف هذا الميلاد حسب الكنيسة الأرثوذكسية يوم "٦" كانون الثاني. (***).

ومن الجدير بالذكر إن هذه الفترة الحرجة من السنة والتي تتمثل في الانقلاب الشتوي تزدحم بالمناسبات الإيزيدية، فبالإضافة إلى عيد بيلندة الذي يقع في "٢٦" كانون الأول الشرقي كما قلنا سابقا، هناك أيضا عيد صوم ئيزيد الذي يصادف أول جمعة من كانون الأول الشرقي، كما إن عيد أربعينية الشتاء يصادف في "١٢" كانون الأول الشرقي.

وإذا كانت شهرة بعض المناسبات الإيزيدية كعيد "الجماعية" وعيد "سه ر سال" قد طغت على غيرها من المناسبات الدينية وغير الدينية، إلا انه هناك مناسبات أخرى ذات مفاهيم ترتبط بالزراعة لا تخلو من معاني فلسفية ما زال الإيزيدية يمارسونها، ومن هذه الممارسات "سفرة اللبنات" أو "سفرة اللبن" حيث تحل هذه المناسبة في الخامس عشر من شهر آذار الشرقي، وفي هذا اليوم تتوافد على معبد لالش قوافل من رجال الدين من القرى الإيزيدية كافة مع كميات من "اللبن"، واللافت للنظر إن هذا الطقس يتلاءم مع امتلاء ضراع "أثداء" المواشي بالخيرات، وان تدفق هذه الخيرات يستوجب تقديم الشكر والامتنان لله– جل جلاله– على هذه النعم، ويمكننا القول إن "سفرة اللبن" هي بمثابة التعبير عن الامتنان لهطول الخيرات، علماً بأن أصحاب المواشي من الإيزيدية يستبشرون خيراً بهذه المناسبة لكونها بمثابة "إعلان" لهم بالتوقف عن تقديم "العلف المخزون" لمواشيهم، لان الأعشاب والحشائش التي بدأت تطل باخضرارها في الحقول تسد رمق مواشيهم وأكثر وهي في ازدياد مستمر.

ومن الجدير ذكره، إن عدداً من أهالي القرى الإيزيدية ممن يمتلكون أشجارا للزيتون يكونون قد "عصروا" كميات من زيت الزيتون قبيل سفرة اللبن بأيام قلائل من اجل تقديمه إلى معبد لالش مع ألبانهم، وذلك للحاجة الماسة لزيت الزيتون في الاستخدامات الطقسية العديدة "في إشعال الفتائل مثلاً" في أماسي أيام الأعياد والأربعاءات.. والخ.

عيد أربعينية الصيف

يقع هذا العيد في "٢٠" تموز الشرقي، بينما عيد أربعينية الشتاء يحلّ في ١٢ كانون الأول الشرقي، ولهذين العيدين علاقة واضحة بدورة الفصول الأربعة والتغيرات الطقسية في المناخ العام، علما إن ما يفصلهما عن بعض زمانيا يبلغ "١٤٥" يوما، أي اقل من خمسة أشهر ببضعة أيام، وليس ستة أشهر كما قد يتصوّر البعض، وان هذه الفترة هي المحصورة ما بين الانتهاء من أعمال الحصاد ودرس الحبوب وتصفيتها وخزن الاحتياجات السنوية مع الإبقاء على حصة العام المقبل من البذار وبذرها فيما بعد.

بينما يرى بعض الباحثين إن مناسبتي أربعينية الصيف وأربعينية الشتاء هي مناسبات ضرورية من اجل منح الفصول الأربعة نوعاً "قدسيا" من التوازن وقد استندوا في هذا الرأي على ما ورد في كتاب "الجلوة" حيث ورد "للعناصر الأربعة، الأزمنة الأربعة، والأعمدة الأربعة التي أحدثت حسب مقتضيات الخلق". والعناصر الأربعة هي "الهواء، النار، الماء، التراب" والأزمنة الأربعة هي الفصول الأربعة وينبغي أن يكون لكل فصل عيداً خاصاً به لكي تستقر هذه الفصول بكل قدسية ومهابة على مرابعها السنوية، وأيضاً بسبب ارتباط هذه الفصول مع الأعمدة الأربعة التي تشير إلى الرياح التي تهب من جهات الكون الأربعة حيث إن هذه الرياح– حسب المعتقد المثروي– هي أربعة أنواع وهي مرتبطة بالفصول الإلهية الأربعة وهي تصفرّ كالجن وتوحي بالخوف حيناً وبالحب حيناً آخر (٥).

هذا، وقد اخبرني احد الفلاحين الإيزيديين بأن هواء "رياح" أربعينية الصيف لها دور فعّال في إنضاج مختلف أنواع الفاكهة والخضروات الصيفية وليس الشمس فقط، وعندما تنضج ثمار البطيخ فان فلاحي بعشيقة وبحزاني يأخذون كميات من محصول البطيخ في عيد أربعينية الصيف ويتوجهون إلى مزار "شيخو بكري" الكائن في بحزاني حيث تقام بعض الطقوس الدينية ويتناولون البطيخ قرب المزار.

وعلى ذكر قرية بحزاني الإيزيدية، فقد كان وما زال بعض الفلاحين يقومون بظفر "أو بغزل" باقة كبيرة من سنابل الحنطة مع سيقانها وكانوا يعلقونها على جدران غرفهم الداخلية، وقد كنت أظن إن هذه الباقة المظفورة بلا اسم محدد، ولكن اخبرني احد الفلاحين الإيزيديين بان فلاحي منطقة بعشيقة وبحزاني يسمون هذه الباقة بـ "المشط" بينما يسميها فلاحو منطقة الشيخان بـ "دارك گه لمي" وأضاف محدثي إن ظفر هذا المشط يكون قبل نضوج القمح بأيام قليلة بحيث إن السيقان تتحمل الشدّ واللوّي ولا تتكسّر، والذي يعنينا هنا هو إن هذه السنابل المظفورة التي تشبه المشط بشكل واضح، هو وجود "المشط" بشكله التقليدي المعروف منقوشاً على بعض الأحجار في داخل معبد لالش، كما إن الرسم المرفق والذي يعود للرسام "هنري رسام" الذي كان برفقة الآثاري البريطاني "هنري لايارد" والذي زار معبد لالش عام ١٨٥٢ يُظهر ذلك، وأيضا إن "المشط" كرمز تعبيري هو الشعار المشير للإله "آدد" اله الأمطار والزوابع عند أبناء ميزوبوتاميا.

الخاتمة

وأخيراً، وقبل أن نختتم موضوعنا هذا، لابد من القول إن علم الأبراج الحديث والمبني أساساً على حسابات فلكيي أهل بابل القديمة الذين كانوا أصلا قد توارثوه عن أجدادهم السومريين، نقول إن الدورة السنوية لعلم الأبراج الحديث تبتدئ بيوم "٢١ آذار" أي ببرج الحمل "٢١ آذار لغاية ١٩ نيسان" وتنتهي ببرج الحوت "٢٠ شباط لغاية ٢٠ آذار".. وان اتخاذ يوم ٢١ آذار فاتحة لدورة الأبراج الفلكية دليل واضح على إن واضعي هذه الحسابات الفلكية هم شعب زراعي بحت، وإن بناء حركة الكواكب والنجوم قد استند الى تعاقب حركة الفصول وليس العكس، لان اكتشاف الزراعة يسبق إدراك الإنسان لمجريات حركة الكواكب والنجوم بزمن كبير.

ومن البديهي القول إن اكتشاف الزراعة لم يقتصر على شعب أو قوم ما، بل إن الثورة الزراعية انتشرت في العهود القديمة وعمّت خيراتها على البشر أجمعين، ولكن التميّز الحقيقي هو في بناء وابتكار ممارسات وأساطير وحكايا ورموز وعلاقة صميمية بالزراعة وطقوسها، وليس أداء العملية الزراعية بمختلف مراحلها بشكل فج وعار عن أي فكر يستوعب العملية الزراعية ويمنحها المكانة المرموقة، لكونها كانت المورد الرئيس لغذاء الإنسان وماشيته، وما زال ذلك المورد الدفاق يفيض بخيراته مع دورة الفصول الأربعة، فصل البذار، فصل الأمطار، فصل النضوج والحصاد، وأخيراً فصل الشكر والتمجيد على هذه النعم المستديمة إلى ما يشاء الله.

الهوامش:

(*) هذه المادة هي جزء من دراسة مقارنة موسعة للكاتب كانت تحت عنوان "الزراعة.. أعيادها، فلسفتها، أساطيرها.. وأشياء أخرى" وشملت "سكان العراق القديم، معتقدات الإغريق، الحيثيون والخوريون، مصر الفراعنة، الأموريون والكنعانيون، العهد القديم، وعند الإيزيدية" تم نشرها في مجلة لالش العدد ٢٠ الصادرة في تشرين الأول ٢٠٠٣ عن مركز لالش الثقافي والاجتماعي/ دهوك.

(**) ننوّه بأننا حددنا تواقيت الأعياد الإيزيدية بالتقويم الشرقي الذي يتخلف عن التقويم الغربي بـ "١٣" يوماً.

(1) هناك آراء أخرى حول هذا الموضوع، مثلا إن الصيام والإحساس بالجوع والعطش وبالتالي الإحساس بالفقراء وبمعاناتهم ومشاكلهم.. الخ.. فانه يمكننا أيضا أن نقول إن الجوع سيعمّ الأرض إذا ما انتصر اله الظلام على اله النور والخير في المعركة الكونية، وان العيد بأطعمته الفاخرة والباذخة هي تعبير عن الخيرات الوافرة التي ستكون من نصيب البشر عندما ينتصر اله النور على اله الظلام في صراعه الكوني.

(2) للمزيد راجع: ب . ش دلكوفان، بيلندة بين الأمس واليوم، مجلة لالش، العدد "١١" ص٤٢.

(3) نفس المصدر.

(4) نفس المصدر. (***) ما زالت طائفة الكلدان الكاثوليك في بغداد تقوم بإشعال النيران والقفز من فوقها ولثلاث مرات، ولكن العيد لديهم تجري مراسيمه مع مطلع الأسبوع الرابع من شهر أيلول، أي تقريبا في ٢٥ أيلول.

(5) للمزيد، راجع: د. بير ممو ، ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية واصلها، مجلة لالش، العدد "٢ ــ ٣"، ص١٥٥.

المصادر:

1. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان ١٩٩٧.

2. الكتاب المقدس العهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، مطبعة أطلس في بغداد ومطبعة الذهب الأسود ــ كركوك، الطبعة الرابعة ١٩٩٤.

3. من الأسطورة إلى الفلسفة والعلم، تأليف ثامر مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠.

4. الفكر الديني القديم، د. تقي الدباغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢.

5. العراق القديم، جورج رو، دار الشؤون الثقافية العامة، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد ١٩٨٦.

6. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، جورج كونتينو، دار الرشيد، ترجمة سليم طه التكريتي، وبرهان عبد التكريتي، بغداد ١٩٧٩.

7. بلاد ما بين النهرين، ليو اوبنهايم، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.

8. اليزيدية بقايا الديانة المثرائية، توفيق وهبي، مجلة لالش، العدد "٢ــ٣"، دهوك، ١٩٩٤.

9. ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية واصلها ، د. بير ممو ، مجلة لالش، العدد "٢ ــ ٣"، دهوك ١٩٩٤.

010.بيلندة بين الأمس واليوم، ب . ش دلكوفان "احمد ملا خليل مشختي"، مجلة لالش، العدد "١١"، دهوك ١٩٩٩.

من موروثنا الشعبي

بدران امرايا

Badran_omraia@yahoo.com

"رندولا" الحقيبة الجلدية

"رندولا" كلمة سريانية مركبة بمعنى "رنة الطبل" وهو اناء جلدي أشبه بحقيبة واسعة الفوهة محكمة وقوية كان يستعان بها قديما أبناء شعبنا الكلدوآشوري في قراهم الجبلية لغرض جني الحبة الخضراء "البطم والبيوك" فيه باعتبارها موادا دهنية وذات لزوجة يصعب لمسها ووضعها في اواني اخرى، لذا كانوا مضطرين لصناعة او اختراع شيء يقضي حاجتهم منطلقين من مقولة "الحاجة أم الاختراع" لذا ذهبوا الى جلب الجلد الحيواني الذي كان متوفرا عندهم بكثرة وتنظيفه ودباغته بدقيق قشور الرمان "كمرا" والرماد المحلل "زركي" في المياه الساخنة ليكون الجلد لينا، وسهل الاستعمال ثم يفصل حجم الحقيبة ويخيط بعدها يستعان بعصا طرية من شجرة الرمان وتقوس على شكل حلقة دائرية وتربط لتبقى دائرية وبالحجم المراد ثم تمرر الحوافي العلوية للجلد فيها وتقلب حول الحلقة الدائرية ومن ثم تخيط لتختفي العصا ويستعان بقطعة جلدية طويلة وناعمة "حزام" لتخيط أطرافها الاثنان بحافتي الحقيبة لتكون يدة لحملها عند الاستعمال في جني الحبة الخضراء حيث كان الشخص يصعد على الشجرة المذكورة حاملا هذه الحقيبة المسماة بـ "الرندولا" معه ليقطع عناقيد البطم لتسقط في هذا الاناء وبعد ان يثقل حمله يمرر من خلال حبل طويل به الى اسفل الشجرة لشخص آخر ليستلم الرندولا وينفض العناقيد فيه لتسقط البطم منه فيرمي مخلفات العناقيد. اما البطم فيضعها في آنية اخرى ثم يسحب الرندولا من قبل الرجل الصاعد على الشجرة بواسطة الحبل ويستأنف عمله ثانية مستعينا بعصا طويلة رأسها مقوس لتمرر الى الأغصان العالية والتي ليس بالإمكان الوصول اليها وانحنائها لجني عناقيدها وهذه العصا كانت تسمى بالسريانية "جلاكي" لرأسها المقوس.

"قشكي" أكلة الرجال

قشكي كلمة سريانية بمعنى المنشف او المبيس، أكلة تراثية شعبية تعد من مشتقات الحليب، وهي عبارة عن كتل بيضوية بيضاء اللون صلبة تحضر من الشنينة المتبقية بعد استحصال الدهن الحيواني الحر عند امرارها أو اخضاعها للكوذا فالشنينة توضع في اناء وتسخن ثم توضع في كيس قماشي قابل لترشيح المياه منه فيعلق في منطقة عالية لتنزل كل المياه المتبقية فيبقى مخلوط رائب شبيه باللبن فيضاف الملح اليه ويعجن في اناء خاص من خشب الدلب يسمى بالسريانية "ميجو" ثم يجعل منه كتلا وأشكالا هندسية بيضوية وكروية واقراصية حسب الرغبة ويسطح تحت أشعة الشمس ليجف ويتصلب عندها يأخذ تسمية "قشكي" فيأكل مباشرة مع الخبز والشاي على مائدة الفطور او يدخل في تكوين أكلات شعبية محببة مثل "كردو او بشالا درزا" و"كتلانا دمذيرا" واخذ قشكا حيزا من امثالنا وحكمنا فيقال بالسريانية "دري خا قشكا كو جيبوخ وسي" أي ما معناه ضع قشكا في جيبك واذهب أي انه سهل الحمل وخفيف يؤكل مباشرة لكونه مادة مغذية صحية ومقوية تسند الانسان وهو في مسيرة طويلة، أو "خوارا اخ قشكا" أي أبيض مثل القشك، "اخ قشكا قويا" أي قوي مثل القشكا ويقال ايضا "قشكي اكلة الرجال". وهناك موقف طريف يقال ان رجلا من أبناء أمتنا الكلدوآشورية قصد منطقة بعيدة وغريبة وجلس في ديوان كبير القوم ووسط رجاله وحاشيته فجاع كثيرا ولم يعيروه أي اهتمام فاضطر الى ادخال يده تحت حزامه وبفعلته هذه ادخل الرعب والفزع في قلوب الحضور فالكل انتبهوا ظنا منهم انه سيشهر مسدسا او خنجرا او شيئا يفجره بينهم فجفت عروقهم واصفرت وجوههم وصمتوا واخذوا يتراشقون فيما بينهم بنظرات الريبة والحذر الشديدين ولما اخرج يده لاحظوا حبة من القشكا فطلب رغيفا من الخبز ليأكله مع حبة القشكا ولدى رؤية هذا الموقف مر على خير عادت الدماء تجري في وجوههم وانفجروا ضحكا من تداعيات هذا الموقف المخيف والطريف معا.